«الأسطول الشبح»

عامر محسن

«الأسطول الشبح» هي التسمية الشعبية التي تُطلق على الأسطول الاحتياطي للبحرية الأميركية، وهو مكوَّنٌ من سفنٍ حربية تقاعدت، أو أُخرجت من الخدمة، ولكنها تظلّ عائمةً، وفي حالة تخزين، في قواعد بحرية في فيرجينيا وخليج سان فرانسيسكو، حتى تُعاد إلى الخدمة حين يحتاجها الجيش. بعد الحرب العالمية الثانية، مثلاً، وصل عدد سفن الأسطول الاحتياطي إلى الآلاف؛ وهو يضمّ اليوم العديد من البوارج والمدمرات التي كانت عماد سلاح البحرية أيام الحرب الباردة.

«الأسطول الشبح» هو أيضاً عنوان لروايةٍ عسكرية نُشرت هذا الصيف، تتخيّل «حرباً عالمية ثالثة» تقع بعد سنوات بين أميركا والصين. نمط روايات «الحرب القادمة» انتشر في الولايات المتحدة منذ ثمانينيات القرن الماضي، خاصة عبر كتب توم كلانسي التي أصبحت نموذجاً يقلّده الكتّاب في المزج بين الخيال والواقعية وتكنولوجيا المستقبل القريب (كتب كلانسي، عام 1986، عن طائرات خفية وأسلحة سرية أخرى قبل أن تعترف الحكومة بوجودها بسنوات). رواية «الأسطول الشبح»، مثلاً، هي عمل لمؤلّفَين لا شأن لهما بفنّ الرواية، بل هما محللان يكتبان عادة في المجال العسكري وقضايا الأمن القومي، وكلّ معلومة تقنية في الرواية ـ تقريباً ـ ترفدها حواشٍ تحيل إلى مقالات علمية ومراجع توثّق هذا السلاح أو ذاك.

في «الأسطول الشبح»، تتقاسم العالم، بعد سنوات من اليوم، قوّة صاعدة هي الصين، التي خرجت من حكم الحزب الشيوعي ويديرها حلف من العسكريين ورجال الأعمال، يتجادلون في اجتماعاتهم عبر تبادل مقولات «صن تزو»؛ وبين قوة تنحدر، هي الولايات المتحدة، يرتكز نفوذها على صادرات الطاقة (بعد تفجير قنبلة نووية في الظهران أخرجت إنتاج النفط السعودي من السوق) وعلى اتفاقٍ هش مع الصين لتصدير النفط مقابل استيراد السلع المصنعة. ثم تكتشف الإدارة الصينية احتياطات غازية هائلة في خندق «ماريانا» مقابل الفيليبين، فلا تعود في حاجة إلى أميركا كالسابق، وتصير الهيمنة على بحر الصين مسألة جوهرية بالنسبة إلى بيجينغ، فتشتعل الحرب.

في المستقبل القريب، تكون تكنولوجيا الروبوتيات والنانو قد نضجت وتحولت إلى معدات نستخدمها في الحياة اليومية: يفترض الحاضرون في كل اجتماع أو حفل أن كلامهم وهمساتهم تسجّل عبر وسائط التنصت المتناهية الصغر، وتُقام الاجتماعات الحساسة في غرفٍ «نظيفة» معزولة، وتكون سفن صيد الفواصات روبوتية بالكامل، وحسم الحرب لا يجري عبر القذائف والبنادق، بل ـ قبل كل شيء ـ في الفضاء وعلى الإنترنت.

في الحقيقة، إن الطلقات الأولى في الصدام بين العملاقين، كما تخيله الكاتبان، تجري في الفضاء الخارجي، حيث تقوم محطة الفضاء الصينية، التي جهّزت سرّاً بسلاحٍ لايزري، بضرب أقمار التواصل العسكرية، ومنظومة تحديد الموقع، وأقمار التجسس ـ لتسلب أميركا، قبل أن تبدأ الحرب الفعلية، أهم العناصر في منظومتها القتالية.

هذا النوع من الروايات لا يهدف إلى إمتاع القارئ وتسليته فحسب، بل تكون خلفه، عادةً، أجندة سياسية أو أمثولة يريد الكاتب إيصالها إلى الجمهور والمؤسسة العسكرية. «الأسطول الشبح»، بهذا المعنى، هي رسالة تحذيرٍ واحتجاج ضدّ النظرية العسكرية التي تحرّك الجيش الأميركي منذ أكثر من عقد.

يحذّر الكاتبان، عبر مسار الأحداث، من أنّ الاعتماد الأميركي المبالغ فيه على التكنولوجيا وتشبيك الوحدات المقاتلة إلكترونياً، وعلى طائرات متقدّمة مكلفة، كـ«إف ـ 35»، يفسح المجال للأعداء لتحويل هذه الاعتمادية إلى نقطة ضعفٍ قاتلة. ماذا يحصل إذا حُرم الجيش الأميركي أقماره الصناعية؟ الطيار في «أف ـ 35» يرى العالم من حوله من خلال كاميرات، لا بعينه المجرّدة، فماذا سيحصل لو تمكن الصينيون من التدخّل في عمل البرامج التي تدير الطائرة وتتحكم بها؟ في المعركة المتخيّلة، يفترض الكاتبان تحقّق كل هذه الاحتمالات: الصينيون زرعوا فايروسات بين ملايين الأسطر البرمجية المخزنة في ذاكرة الطائرات، فتتساقط الـ«إف ـ 35» من السماء بسهولة. الأسطول الأميركي، بعد فصله عن قيادته واختراق برامج الإدارة الإلكترونية على سفنه، صار هدفاً سهلاً للصواريخ البالستية الصينية. بل إن الصينيين لم يرتكبوا خطأ اليابان في الحرب العالمية الثانية، فاحتلّوا جزيرة هاواي لوضع الأميركيين على بعد آلاف الكيلومترات عن سواحل آسيا.

في القصّة، يستعيد الأميركيون توازنهم ويحقّقون النصر عبر إخراج «الأسطول الشبح» ـ الذي يعتمد على معدات ميكانيكية «قديمة» محصّنة ضد المبرمجين الصينيين ـ من سباته؛ وعبر مزيج من الأسلحة الجديدة واستثمار الطاقات المدنية والصناعية في أميركا (فتُسخّر سلسلة متاجر «والمارت» لخدمة الجيش لوجستياً، ويقدّم علماء «وادي السيليكون» حلولاً تكنولوجية للعسكريين ـ في تذكير بالمنشأ العسكري لـ«وادي السيليكون»، منذ أن اعتمدت مدينة سانيفايل الكاليفورنية كمختبرٍ للطيران الأميركي في ثلاثينيات القرن الماضي).

أهمية الرواية لا تكمن في تفاصيل أحداثها، بل في قراءتها كتعبير عن خطاب نقدي، يسلّطه خبراء أميركيون ضدّ سياسة البناء العسكري الأميركي في مرحلة الإمبراطورية. يوجد اليوم عددٌ كبير من المتابعين الذين يصرّون على أنّ مشاريع الأسلحة القائمة ترمي لتحقيق أرباحٍ لشركات السلاح، لا لخوض حروب واقعية؛ وأن الـ«إف ـ 35» هي كارثة ماليةٌ وعسكرية؛ وأن ترهّل المؤسسة القيادية في الجيش، وارتهانها لمصالح الصناعيين والسياسيين، ستدفع أميركا ثمنه مع أوّل مواجهة جدية ضد خصم كفء. «الأسطول الشبح» تتكلّم بلسان هؤلاء.

في الواجهة

برّي: لن أُسمِع... إلى

مذ انفجرت الأزمة الحكومية قبل أكثر من شهر، ووصف اشتباكها بـ«الأسوأ على الإطلاق شهدته حكومة»، نأى الرئيس نبيه بري بنفسه عن أي تحرّكٍ بعدما أغضبه انتقال السجال من خلاف على الصلاحيات إلى الطعن في شرعية البرلمان

نقولا ناصيف

يصمّ رئيس مجلس النواب نبيه بري أذنيه عن أي سؤال يُوجّه إليه عن مآل حكومة الرئيس تمام سلام والجهود المبذولة لمعاودتها اجتماعاتها. لا يصغي أيضاً إلى أي سؤال عن احتمال اضطلاعه بأي مبادرة أو تحرّك لإخراج البلاد من مأزق شلّ مؤسساتها الدستورية. لا يتردد في القول حتى: «لن أُسمِع إلى أن أسمَع».

يضيف: «لن أتكلم ولن أعلّق إلى أن أسمع وأرى أنني لم أعد غير شرعي. ما دام البعض يعتبر مجلس النواب غير شرعي، فلست مستعداً لأسمع أياً يكن».

يعكس رئيس المجلس بذلك استمرار امتعاضه من المواقف الأخيرة لتكتل التغيير والإصلاح، إذ وصف البرلمان بأنه غير شرعي، متشبثاً بتعطيل عمل السلطتين الإجرائية والاشتراعية. مذ ذاك يشير بري إلى انقطاعه عن استقبال أي بحث في مبادرة أو تفاهم أو حلول ما دامت المؤسسة المعنية بها تنعت بما قيل فيها. يسارع إلى القول: «عندما يتصرّف لبنانيون على هذا النحو، يعطلون دورة نظامه وعمل مؤسساته ويضرّون به، لا حاجة للبنان حتماً إلى أعدائه».

يُركّز في أحاديثه أمام زواره في عين التينة على المعطيات الآتية:

1 ـ تمسكه بمرسوم العقد الاستثنائي لمجلس النواب وإن في المدة الباقية، الفاصلة عن العقد العادي الثاني في 20 تشرين الأول المقبل، ويرى أن الوقت لا يزال متاحاً لاجتماع المجلس وإقرار مشاريع عالقة في جدول الأعمال. يعزو إصراره على العقد الاستثنائي إلى «مسألة مبدئية»، هي أنّ على المجلس أن يلتئم عندما يتعيّن عليه استكمال أعماله في عقد عادي، أو في عقد استثنائي هو مسؤولية واجبة على السلطة الإجرائية. يصرّ على وجهة نظره بأن إصدار مرسوم العقد الاستثنائي لا يحتاج إلى توقيع الوزراء الـ24، بل إلى الأكثرية المطلقة منهم فحسب، لأن المادة 33 من الدستور تلزم رئيس الجمهورية إصدار مرسوم العقد الاستثنائي إذا طلبت الأكثرية المطلقة من النواب، ناهيك بأن الاتفاق على وضع المرسوم مسؤولية مشتركة بين رئيسي الجمهورية والحكومة.

2 ـ تيقنه من أن صدور مرسوم العقد الاستثنائي ليس كافياً لالتئام الهيئة العامة. يقول بري: «مررنا في عقد عادي بين آذار وأيار ولمست أن هناك مقاطعة مكونات أساسية للجلسات، فلم أدعُ إلى أيٍّ منها. من حق مَن يريد أن يتغيّب أن يفعل، وهو حق ديموقراطي. لكن ليس لمَن

رئيس المجلس: للذين يريدون اعرافاً جديدة. اقول لهم لن يحصل ذلك مع نبيه بري (هيثم الموسوي)

يعد بأنه سيحضر أن يتغيب ويطيح تعهداته. ثمة مَن قال إنه لا يريد أن يحضر، وهو حقه. لكن ماذا عن الآخرين الذين جزموا لي بالحضور ثم أخلوا؟ حصل ذلك أكثر من مرة لأكثر من جلسة. قالوا

بري: عندما يتصرّف لبنانيون على هذا النحو، لا حاجة للبنان إلى أعدائه

تقرير

لا جديد في تهديدات إسرائيل، لكنها

يحيى دبوق

لا جديد في تهديدات تل ابيب. لا تصريحات رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، ولا مناورة الجيش الإسرائيلي، غير المسبوقة قبل أيام، التي قيل إنها حاكت توغلات برية في سوريا ولبنان.

لا جديد في أن يستعد الجيش الإسرائيلي، باعتباره جيشاً مهنياً، لمواجهة كل السيناريوات: المعقولة والأقل معقولية، فالجيش المهني إما يقاتل، أو يستعد للقتال. كما لا جديد في مضمون تصريحات نتنياهو ووزير أمنه، موشيه يعلون، إلا ما يتعلق بالشكل والمكان الذي خرجت منه التصريحات، من على الحدود اللبنانية.

وإذا كان الإعلام العبري قد تناغم مع حملة التهديدات وأبرزَ ما جاء فيها، إلا أنه أضاء أيضاً على تساؤلات حول الأهداف منها. وبتعبير البعض (معاريف): ما الذي يدفع إلى ذلك، ولا يوجد أي شيء دراماتيكي يدل على تغيير ما ميداني، سواء من جهة إسرائيل أو في لبنان وسوريا؟

ويستدل من مجمل التعليقات الإسرائيلية حول المناورة، التي وصفت بـ«غير المسبوقة»، أنها جزء من الاستعدادات والتدريبات المعتادة ولا جديد فيها إلا ما يتعلق بتوظيفها إعلامياً، لمقاصد أخرى. وقد تكون بحسب المقال الرئيسي لصحيفة يديعوت أحرونوت أمس، رسالة إلى الأذن الأميركية من أن إسرائيل تعاني من تهديد فعلي، و«ها هو الخطر الإيراني الذي حذرنا منه يتجسد أمامنا، فيما الأميركيون لا يقومون بشيء».

صحيح أن المناورة حاكت تصعيداً مع حزب الله، يتضمن سيناريو مواجهة قصف مكثف بالصواريخ على الأراضي الإسرائيلية استدعت رداً برياً محدوداً لمعالجة مصدر إطلاق الصواريخ، وصحيح أن المناورة حاكت سيناريو آخر وهو توغل حزب الله واحتلاله إحدى المستوطنات، الأمر الذي استدعى إخلاء المستوطنات الحدودية، إلا أن ضابطاً رفيعاً أكد في المقابل للمراسلين أن إسرائيل وحزب الله، على حد سواء، غير معنيين في هذه المرحلة بمواجهة واسعة بينهما.